



الحمد لله وبعد،

حين وقع تفجير مسجدي الشيعة السابقين، مسجد القديح ومسجد العنود، في شهر شعبان الفائت، لم أستبعد حينها أن يعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن الحدين، لأن هذا من سلوكياته التي لم يكن ينفيها عن نفسه منذ تشكّل التنظيم في العراق. ولكن حين وقع تفجير مسجد لأهل السنة في عسир وقت صلاة الظهر بالأمس، وذكروا عدد الضحايا تقبلاهم الله وأسكنهم فسيح جناته، ورأيت آثار النيران في جدران المسجد وسقفه وفرشه، وعرضوا صور المصحف الشريف وقد أتى اللهب الكريه على صفحاته الكريمة حتى ترممت أطراها، ثم عرضوا صور بقية الجرحى في المستشفى شفاهم الله وجعل ما أصابهم طهوراً؛ فإنني -بكل صراحة- استبعدت جداً أن يعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن الحادثة.

ذلك لأن من سياسة تنظيم الدولة التي يذكرها أهل الخبرة أن تنظيم الدولة منذ أيام زعيمهم الفاعل أبي حمزة المهاجر في العراق لم يكن يحجزه شيء عن تحقيق أغراضه حتى لو كان تفجير مساجد أهل السنة ومجامعهم وأسواقهم، ولكنه إذا فجر مسجداً لأهل السنة لم يكن يعلن ذلك رسمياً، بل ويظهر في بياناته نفي ذلك والتبرؤ منه، وذلك لبلوغه في الشناعة متتهاها والتي كان يحاذرها التنظيم تحاشياً لتأليب العامة عليه.

بل إنني قلت فعلاً لأحد الأصدقاء لا أظن أن يعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن تفجير مسجد عسیر، حتى وإن غلب على الظن أنه هو الفاعل لذلك.

وحيين كنا نتجاذب أطراف الأحاديث مع بعض الإخوة البارحة قال لي أحدهم: أرأيت؟! لقد أعلن تنظيم الدولة مسؤوليته عن تفجير مسجد عسیر وأن المنفذ انتحاري يسمونه "أبو سنان النجدي"، ثم رجعت فوراً للشبكة ووجدت إعلان التبني فعلاً أصدره ما يسمونه "ولاية الحجاز" التابعة لتنظيم الدولة.

حين قرأت إعلان التبني لتفجير مسجد أهل السنة بعسیر، وإحرق المصاحف؛ فإنني قلت في نفسي: يا سبحان الله ما أسرع ما يكشف هذا التنظيم ما كان يتظاهر بالتبرؤ منه..

وما أكثر ما نفى عن نفسه شيئاً بل وأقسام الأيمان المغلظة وبماهله عليه ثم يعود للتصريح بارتكابه..

ربما يعني للمتابع أن يجب أن نذكر الأدلة الشرعية على عظم هذه الجريمة، لكن ما حاجتنا لذلك والتنظيم نفسه يقر قبل مدة وجiezة أن تفجير مساجد أهل السنة من أعظم البوائق!

الفاعل نفسه يقر بتجريم الفعل قبل قليل.. وهذا غاية ما يمكن من التناقض..

دعني أعرض عليك بعض هذه الشواهد في البيانات الرسمية للتنظيم:

في بيان رسمي لتنظيم الدولة يتوجّع فيه من أنه يُتهم بأمور باطلة لم يفعلها ولم يقاربها وأنه بريء منها، يقول التنظيم بصوت أبي محمد العدناني المتحدث الرسمي له:

إن الغرب الكافراليوم يشن حملة إعلامية شعواء ضد مجاهدي الدولة الإسلامية في العراق والشام، وسخر لذلك جميع قنوات الطواغيت وأبواق الكفر في كل مكان..، ومن أبرز ما تتمثل به هذه الحملة الخبيثة: أولاً: اتهام الدولة الإسلامية بتفجير المساجد في المناطق السنية في العراق..، ولكن بفضل الله لم تعد مثل هذه التهم والافتراطات تنطلي على أهل السنة في العراق..، ولسنا نحن من يستهدف المسلمين أو يفجر مساجدهم أو أسواقهم في أي مكان، وأن ذلك من عمل الروافض وبتنسيق وإشراف الأجهزة الأمنية الصفوية الحاقدة، ودعم من مراجعهم الملحدة..) [العدناني، بيان بعنوان: لك الله أيتها الدولة المظلومة، مؤسسة الفرقان للإنتاج، الدقيقة: 01].

لعل لاحظت أولاً لغة المسكنة في عنوان هذا البيان "لك الله أيتها الدولة المظلومة".

ثم لعله لم يفتكم أيضاً اعتبارهم "تفجير المساجد في المناطق السنية" لا يقوم به إلا الرافضة والصفويون والمالحة! وهذا عموم وشمول، فأي مسجد في "منطقة سنية" فيرون أنفسهم أشرف من التعرض له، فالمعيار هو المنطقة. وتكرار النفي بلغة البراءة الطهورية التامة "لسنا نحن من يفجر المساجد"، قوله "لسنا نحن" يوحى بوضاعة هذا الفعل وأنهم أشرف منه، وأن نسبة هذا العمل إليهم هو من تجنيات الإعلام الصليبي وأبواقه العربية.

ثم بعد كل هذا التظاهر بالنقاء من "تفجير المساجد في المناطق السنية" وأنه عمل وضعيف، والاجتهاد في التوصل منه ورميه كله على ظهور الأعداء؛ يأتي تنظيم الدولة بالأمس بكل بروء ويُصدر بياناً في تبني تفجير مسجد أهل السنة في عسير! فلو صدقناهاليوم أن هذا عمل مشروع فماذا سنعمل في بيته السابق الذي جعل فيه تفجير مساجد أهل السنة عمل وضعيف يفعله الروافض الصفويون والمالحة ومن شائعات الإعلام الصليبي؟!

وفي بيان سابق -أيضاً- لما تحدث تنظيم الدولة عن الجيش المصري وأراد أن يجمع المناطق الشيعية التي تبرهن مشروعية تكفير ومقاتلة الجيش المصري، اعتبر من هذه المناطق أن "الجيش المصري يحرق المساجد والمصاحف"، كما يقول تنظيم الدولة في سياق سرد هذه المناطق:

(جيش صائل انتهك الأعراض، وحرق المساجد والمصاحف، وأجهز على الجرحى وحرق جثث القتلى، فهل يقول عاقل أن هذا الجيش لا تجوز محاربته وقتاله؟!) [العدناني، السلمية دين من؟، مؤسسة الفرقان للإنتاج، الدقيقة: 18].

فتنظيم الدولة هنا يعتبر من الشنائع التي توجب القتال "حرق المساجد والمصاحف"، واليوم هو يتبنى حرق المساجد والمصاحف بكل صراحة في تفجيره لمسجد عسير.

وحيث رأيت صورة المصحف الشريف في مسجد عسير وقد أتى اللهب عليه، تذكرت فوراً هذه العبارة التي سبق أن اطلعت عليها، والتي كان تنظيم الدولة يجعلها من مسوغات مقاتلة الجيش المصري!

بالأمس يُشنّع على الجيش المصري إحراق المصاحف، واليوم يتبنى بكل فخر ذلك!

وكان تنظيم الدولة في عامة بياناته يستحدث أهل السنة في العراق على مواجهة الرافضة ومقاتلتهم، بل لا يكاد يخلو بيان له من ذلك، ويستعمل في تشجيع أهل السنة على ذلك ذكر فظائع الشيعة في العراق، ومما كان يذكره تنظيم الدولة من هذه الفظائع

تفجير مساجد أهل السنة، كما يقول التنظيم مثلاً في بيان آخر:

(وقد بانت عقيدة تلك الميليشيات واضحة في بدء عملياتها العسكرية على المساجد السنّية لروع المتظاهرين، قائلةً بلسان حالها: يا أيها النواصي لقد بدأنا بمساجدكم، لتعلموا ان دمائكم واموالكم وأعراضكم حلال عندنا مستباحة..) [العدناني، بيان بعنوان: فاقتلوهم إنهم مشركون، مؤسسة الفرقان للإنتاج، الدقيقة: 7]

فمن الطريف حقاً أن يذكر تنظيم الدولة أن "البداية بمساجد أهل السنة" هي من سياسات الرافضة الصفوية، ثم هو يطبق ذات السياسة في أرض الحرمين فأول عملياته في المساجد! وهذا أحد الشواهد المتكررة على أن الخصم قد يكتسب عقلية ومنطق خصميه دون شعور.

ويكرر تنظيم الدولة ذات هذا التأكيد على أن سياسة الرافضة هي البدء بحرق مساجد أهل السنة وتفجيرها، كما يقول في بيان آخر أيضاً:

(أول ما دخل الحشد الرافضي الضلوعية من صلاة الجمعة، وقد رأيتم ما فعلوه في بيالي وصلاح الدين والأنبار: من حرق المساجد وتفجيرها..) [العدناني، بيان بعنوان: يا قومنا أجيروا داعي الله، مؤسسة الفرقان للإنتاج، الدقيقة: 7].

فتنظيم الدولة يؤكّد مجدداً أن "البدء بحرق المساجد هو من استراتيجيات الرافضة"، ثم هو يجعل مفتاح عملياته في جزيرة الإسلام تخريب المساجد، ويعرف بهذا رسمياً مفتخرأً به.

وفي موضع آخر يذكّر تنظيم الدولة أهل السنة بفظائع الرافضة، ويستعرض على رأس هذه الفظائع "حرق مساجد أهل السنة" كما يقول التنظيم في بيان رسمي آخر:

(ولإن نسيتم فظائعهم بكم في بغداد وتلغرف وما قد حرقوه من مساجدكم..) [العدناني، بيان بعنوان: سبع حقائق، مؤسسة الفرقان للإنتاج، الدقيقة: 9].

وهكذا، فقد كرر تنظيم الدولة من خلال هذه الخطابات المتواتلة المتعددة أمرَين: **الأول**: أن تفجير مساجد أهل السنة هو من سياسات الرافضة والصفويين والملحدة.

**والثاني**: استنكار وشجب أن ينسب تفجير مساجد أهل السنة لتنظيم الدولة وأن هذه النسبة من افتراءات الإعلام الصليبي وأبواقه العربية وأن تنظيم الدولة مظلوم في هذه القضية.

ثم يفاجئنا تنظيم الدولة بتفجير مسجد أهل السنة في عسيرة، وليس هذا هو المفاجئ طبعاً، بل المفاجئ هو تصريحه بتبني العملية والابتهاج بها، وهو الذي ملأ بياناته السابقة أن تفجير مساجد أهل السنة عمل رافضي ومن تجنيات الإعلام الصليبي! وانقلاب تنظيم الدولة على ما يعلنه، ونکته لما يصرح بالتزامه به، ليس بالجديد، بل تقاد تكون كل مباهله وأيمانه السابقة عاد وأثبتت نقاصها، وقد عرضت لنماذج من ذلك في ثلاثة أوراق بحثية سابقة، وسأعرض المزيد لاحقاً بإذن الله.

ولذلك فإنني لا أظن أحداً اليوم يمكن أن يأخذ الدعاوى التي يطلقها تنظيم الدولة في بياناته على محمل الجد، فقد ظهر بصورة صارخة أن تنظيم الدولة يسير في البيانات الرسمية له على طريقة "الدبلوماسية التقليدية الوضعية" المخالفة للشريعة، وهي اعتبار الكذب والمخداعة والمخالفة للتشويش على الخصوم فناً وذكاً! مع أنها تكتيك قصير الأجل سرعان ما يتمزق غلاه وتهدم مصاديقه.

ومن ذا بقي يمكن أن يمد يدأ لوعد يبرمه تنظيم الدولة..؟!

لكن، دعنا الآن من كثرة انقلاب تنظيم الدولة على ما يعلنه، ولنحاول تحليل معطى آخر، وهو: ما الرسالة التي يريد تنظيم الدولة إيصالها من تفجير مسجد لأهل السنة في عسيرة؟

هذا ينطوي على عدة احتمالات لمحاولة قراءتها سوياً:

يمكن أن تكون الرسالة والغرض هي: أن يتم تحريك المجتمع وزعزعة تلاحمه واستقراره للانقلاب على النظام وإيجاد ثغرة

أمنية يلح من خلالها تنظيم الدولة لتشكيل ولايات.

لكن هذا هدف بعيد جداً، لأن استهداف المساجد يقلب المجتمع رأساً على عقب ضد الجاني، بل يجعل المجتمع "يصف" كلياً مع الناظم الحاكم، وهذا أمر رأينا نظيره في كل التجارب القتالية التي وقعت في عدة بلدان إسلامية. بل إن المجتمع يشعر بضعف هذا التنظيم المحارب، لأن الخصوم المقاتلين المتمكّنون لا يستهدفون النقاط الهشة وإنما يفخرون بضرب مفاصل الدول والأهداف العسكرية الاستراتيجية، أما من يذهب لمسجد ويفجر فيه فهذا هدف يكشف عن خور الفاعل لا عن تمكّنه! فاستهداف المساجد نحيب العاجزين..

حسناً، إذا لم تكن الرسالة من تفجير المساجد السنوية هي التأثير الفعلي في المجتمع المستهدف وفتح الثغرات الأمنية، فإنّ قد تكون الرسالة هي "إغاثة المسؤولين في هذا النظام وإسخطائهم ومكايدتهم".

وهذا في الحقيقة تفكير محدود جداً، لأن المسؤولين في هذا البلد وغيره ليسوا على درجة واحدة أصلاً، فثمة شريحة من المسؤولين ما اكترثوا بما تفعل أصلاً، فهم مشغولون في مصائرهم وقصورهم وغاية ما يسمعونه عن عملائك كلمة تلهّت في شريط الأخبار السفلي تحت الشاشة.

وأما الشريحة الأخرى من المسؤولين ففيهم من يتّالم حقاً للجرائم التي ترتكب في حق الآمنين ويهتم لها، ويرى أن عليه أمانة كالجبل ويتحرق ضميره لذلك، فهذه الشريحة أصلاً تتّקרב له بهذا الشعور، فأنت حين تفجر المسجد وتقتل المسلمين إنما تزيدها بعيداً وتقرّباً لله بهذا الهم والاهتمام.

فبالله عليك ما المكتسب الذي يستحق أن تنتهك لأجله حرمة المسجد وبيوت الله؟!

هذا عن الرسالة التي يفكّر فيها مثل هذا الفاعل، لكن ما الرسالة التي وصلت لرجل الشارع؟ الرسالة التي وصلت لغير المتخصص الآن: هي أن كل ما كان ي قوله الإعلام من حق وباطل في شأن هذه الجماعة "تنظيم الدولة" فهو حق! الرسالة التي وصلت لكثير من الجمهور: أن الصلاة في المنزل آمن من الصلاة في المساجد، وخصوصاً الجوامع الكبيرة والمكتظة، حتى يتم التأكد من القضاء على خلايا تنظيم الدولة!

فانظر كيف كنت سبباً في تعطيل بيوت الله عن عمارتها..!

انظر الآن إلى سعيك في "تخريب المساجد" وتدرك قول الله

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ نَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

أليس ما فعلته هو عين تخريب المساجد المذكور وعيده في "عموم" هذه الآية؟!

وقد نوّه كتاب الله برفع المساجد وأنت تهدمها، قال الله {فِي بُيُوتٍ أَنِّي اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} وقد روى الطبرى وغيره عن ابن عباس أن من رفعها "تكريّمها"، وأنت تهينها بالهدم والتخريب والنيران والحرق والدماء والجثث، في جدرانها وسقفها وفرشها ومصاحفها.

وتخريب المساجد الحسي والمعنوي هو نقىض عمارتها، والله يقول {إِنَّمَا يَعْمَرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فانظر كيف فات عليك هذا الشرف العظيم..

هذا اليوم الجمعة قرأ علينا الإمام آية ما استطعت أن أمنع ذهني عن تذكر دخول أصحاب مثل هذه الجرائم فيها .. وهي قول الله في خواتيم سورة الكهف:

{فُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} .  
والله أعلم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وسلم

صيد الفوائد

المصادر: